

"لبنان أكبر من أن يُبلع"

بقلم الكولونيل فايز كرم

في قلب كل لبناني، اليوم، بعض من الخيبة وبعض من الحسرة وبعض من الإشمئزاز، فكلنا حلمنا "بوطن" والحلم حق وأمل وكلنا ضحينا وعملنا من أجله والتضحية والعمل مقياس قيامة الأوطان.

في خيبتنا وحسرتنا واشمئزازنا سَعِينَا، كل على طريقته، لإخراج وطننا ومواطنينا من واقع الركود و"الإنبطاح" وإيجاد المسببات وتفسير الظروف التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه. وفتشنا، في حلمنا الخفي ربما، عن الطريقة الفضلى لإعادة جمع الشمل.

وكم سمعنا تنظيراً وكلاماً في هذا المجال، لبنانيون يقيّموا ويفصّلوا المخارج والحلول، ولبنانيون يتمنّوا لوطنهم الحاكم العادل "الظالم"، المتجرّد في مواقفه وأحكامه بين الناس، المدافع عن تطبيق القانون، الملتزم بقسمه، الحريص على ميثاق وطنه.

ربما بتجرّده وتطبيقه للقوانين والتزامه بروحيّة القسم تمكن من إعادة المواطن إلى رشده وواقعيته، وتمكن من إعادة الضوابط إلى النفوس، وإعادة القيم والمبادئ إلى المجتمعات. نتذمّر دائماً من الواقع ونفتش دائماً على الخطأ عند الآخرين، نحملّهم المسؤولية دون أن نفعل شيئاً ودون أن نلزم أنفسنا بشيء.

والحلول نريدها مُنزلة، نقبلها دائماً، نتعامل معها كيفما أتت، ونفرح أبداً بالانتقاد والاستهزاء ونرتاح بالترقب والانتظار.

نحن اليوم في قعر الهاوية، لم نعد نخاف السقوط وقد سقطنا، هي نتيجة ما فرضه أمر الطائف علينا، فمقرّر "الحرب بيننا" هو نفسه مقرّر "السلام بيننا".

والحرب المخطط لها في لبنان إن أضرتّ فبالأملاك والأرواح، أما الهدوء الذي سلّبنا السلام فقد أضر بالمبادئ والقناعات، وأوصلنا لحدود التشكيك بالمواطنة ومزاياها، وبمكانة الأوطان في عالم أثبت سقوطه أمام سلطان البراغماتية والسعي لفتوحات الأسواق على حساب الحقوق والمبادئ والمسلمات.

يُمتدح دكتاتور ويُستقبل آخر، ويبتهج السياسيون بإنجازهم، ويُصَفَّق الإعلاميون لحنكتهم، وتُصمَّ أفواه الناس المطالبين بحقوقهم الثائرين على الظلم والرافضين العودة لعصور الجهل والإستعباد والسبي والإنتهاك.

فإذا كان التطور والتقدم يفرضان على الناس التخلي عن حقوقهم والتنازل عن كرامتهم فنحن أول من يقف سداً منيعاً بوجههما، وإذا كانت حدود الأوطان تُرسم في رؤوس بعض الحكام فنحن أول من يسقط هذه الحدود لتقوم، سواها، على المبادئ والقيم والأنظمة العادلة. لقد ولّى عهد الفتوحات وحروب البعثات، وولّى عهد الاستعمار والاستعباد، حدود الأوطان ليست خطوطاً أو مساحات،

حدود الأوطان سدود في النفوس شُيِّدت، في لبنان، على مداميك الحرية، وشُيِّدت في محيطه، على مداميك الأنظمة الدكتاتورية التي فُرِضت على الناس وغذت فيهم روح الإنصياع والكبت والجهل.

من هنا يخطئ من يعتقد أن بإمكانه بلع لبنان، وهو أكبر من أن يُبلع، حدوده تتلاقى مع حدود الحرية في العالم، فيها لاقى اللبنانيون فسحتهم، بها تمكنوا، عبر التاريخ، من نقل أسواقهم وحضارتهم، غدوا العالم بعقولهم وكفاءاتهم وانفتاحهم، وبقوا مشدودين إلى جذورهم. فيا من عرفتم الغزو والإحتلال،

ويا أهلنا ورفاقنا في لبنان وعالم الإنتشار، لا تدعوا الشك يدخل قلوبكم، والتوجيه المضلل ينال منكم، تلاقوا على الأمل وعلى المثابرة والعمل، ليأتي ممثلونا عبركم نخبة وكفاءة، ولنرتاح من أوجه مثلت الإحتلال عندنا وادعت تمثيلنا، قامت على العمالة والدم والنار، ولنرتاح من احتلال ندعوه لملاقاتنا على مقاييس الحرية والعدالة والمساواة واحترام حقوق الإنسان